

النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٣٥ / ١٩٩٩

الأحد ٢٩ آب

تذكّار قطع رأس

يوحنا المعمدان

اللحن الرابع

إنجيل السحر الثاني

الرسالة (أعمال الرسل ١٣ : ٢٥ - ٣٣)

الإنجيل (مرقس ٦ : ١٤ - ٣٠)

+ يوحنا المعمدان

تعيّد كنيسة المقدسة في التاسع والعشرين من آب لتذكّار قطع رأس القديس يوحنا المعمدان، الملقّب بالسابق والصابغ. السابق لأنه سبق يسوع وهيأ الطريق أمام مجيء الرب، "صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة" (لوقا ٣: ٤)، والصابغ لأنه عمّد (صبغ) يسوع قبل أن يبدأ الرب بشارته. يوحنا هذا "جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته" (يوحنا ١: ٧).

يلعب يوحنا المعمدان دوراً مهماً في تاريخ الخلاص. فقد اختير قبل مولده ليكون مبشراً وسابقاً للمسيح، وقد عرف الرب منذ البدء، "وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم" (يوحنا ١: ٢٩)، وأيضاً نقرأ في إنجيل لوقا

عن حبل اليصابات العجائبي بيوحنا، وزيارة العذراء مريم لنسيبتها اليصابات عندما كانت اليصابات في الشهر السادس من حملها وقد ارتكض جنينها بفرح عند سماع سلام مريم وعرف الرب وهو ما يزال في رحم مريم، "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ. فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني" (لوقا ٤٣: ١-٤٤).

لقد علم يسوع أن النبوءة التي تتحدث عن عودة إيليا تحققت بيوحنا، "وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي" (متى ١٤: ١١)، وان يوحنا هو الذي يسبق المسيا "صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب أصنعوا سبله مستقيمة".

قبل أن ينطلق الرب يسوع في بشارته للشعب، انطلق يوحنا الى برية الأردن ليهيء الطريق للمسيح. مارس مهمته النبوية ضمن مجموعة من التلاميذ تميزت بالتوبة في انتظار الملكوت، المعمودية لغفران الخطايا، ثمار البر، والنظام الروحي الصارم. لقد عاش يوحنا حياة نسكية، في الأصوام والفقير. لم تكن عيناه شاخصتين نحو الجسد وشهوته بل نحو الرب يسوع، وقد أثر على من حوله (أنظر مرقس ٣٢: ١١، لوقا ٧: ٢٩، أعمال ١٨: ٢٥، ١٩: ١-٧).

لقد تنبأ يوحنا بأن المسيح آتٍ وهو أكبر منه "الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي ... هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحلّ سيور حذائه" (يوحنا ١٥: ١ و ٢٧). وهذا المسيح سوف يعمدّ ليس بالماء بل بالروح القدس (مرقس ١: ٨). عندما وقف يسوع أمامه لكي يعمده، أظهر يوحنا تواضعاً كبيراً معلناً أنه هو المحتاج للمعمودية من المسيح يسوع لكن يسوع مانعه قائلاً: اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (متى ٣: ١٥)، فأطاع يوحنا.

صار هذا الحادث مألوفاً في الأيقونة الأرثوذكسية المسيح في الأردن معتمداً على يد يوحنا، الروح القدس بهيئة حمامة فوقه، وصوت الأب قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧).

عمل يوحنا كان مهماً بالنسبة لبشارة يسوع. ولقد اعتبر يسوع شهادة يوحنا مهمة، ليس لأن يسوع، ابن الله، بحاجة للمصادقة على بشارته من قبل انسان بشري، لكن لأن قبول الشعب ليوحنا كرجل الهي هياً الطريق لقبول يسوع أيضاً: "أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق. وأنا لأ أقبل شهادة من انسان ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم..." (يوحنا ٥: ٣٣-٣٥). مجيء يوحنا كان بمثابة عودة الروح الى إسرائيل. فبعد انقطاع النبوة لمئات السنين، واعتبار العبرانيين هذه الفترة فترة جفاف وغضب إلهي لأن الله لا يرسل الأنبياء لتعزية الشعب، أتى

يوحنا، وكان هذه إشارة الى العطف الإلهي وقرب مجيء المخلص. وقد كان الشعب ينتظر عودة إيليا إيداناً بمجيء المخلص.

بعد حادثة التجلي سأل التلاميذ الرب "لماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً. فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء. ولكني أقول لكم أن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم. حينئذ فهم التلاميذ أنه قد قال لهم عن يوحنا المعمدان" (متى ١٧: ١٠-١٣) وكان يوحنا أتى بنفس الروح النبوي، الروح الإلهي الذي ألهم إيليا في القديم. ولهذا كان علامة لمجيء المخلص.

أول تلاميذ يسوع إنديراوس كان من جماعة يوحنا (يوحنا ١: ٣٥-٣٩)، ولما نقص عدد الرسل الإثني عشر بخيانة يهوذا، اختير متياس من بين جماعة يوحنا (أعمال ١: ٢١ و ٢٢).

مات يوحنا مستشهداً على يد هيرودس الملك الذي وبّخه يوحنا لأنه تزوّج امرأة أخيه فيليبس. الكنيسة الأرثوذكسية تتذكر القديس يوحنا المعمدان كل يوم الثلاثاء من كل أسبوع، فترنم في الغروب والسحر الصلوات التي تكرّم يوحنا المعمدان وتمدح دوره في المخطط الخلاصي. إضافة الى عيد قطع رأسه في ٢٩ آب، تعيد الكنيسة لمولده في ٢٤ حزيران، وتقيم تذكاراتاً جامعاً له في ٧ كانون الثاني نظراً لمشاركته الهامة في عماد الرب يسوع.

+ حول المعمودية

- هل يجب على "عراب" الطفل المقبل الى العماد أن يكون أرثوذكسياً ؟
- نعم، يجب على العراب أن يكون مسيحياً أرثوذكسياً، لكن هذا لا يكفي بل يجب أيضاً أن يكون ممارساً لأرثوذكسيته أي مشاركاً في صلوات الكنيسة وإيمانها وحافظاً لتعاليمها ووصاياها. هذا يعني أن هذا العراب يجب أن يكون منتبهاً الى الكنيسة إنتماءً فعلياً وأن لا يكون ذا إنتماء، أو في أي وضع، لا يمكنه من الإشتراك في أسرار الكنيسة بملئها. فإذا كان شخص ما، مثلاً، قد تزوّج من إنسان غير مسيحي، أي من خارج الكنيسة، فإن هذا السبب يشكل عائقاً أمام كونه عراباً صالحاً. السبب وراء ذلك هو أن دور العراب ومسؤوليته الإهتمام بتنشئة الولد الموضوع في عهده من الناحية الروحية. هذا الدور لا ينتهي عند سرّ المعمودية أي أنه لا ينحصر بكون العراب كان حاضراً ومشاركاً في الصلاة، بل يتعداه الى وجوب تعميق العلاقة الروحية والأخلاقية بين العراب والمعمد، التي تمتد مدى حياة الإثنين. إذا وعينا هذا البعد نستطيع أن نفهم لماذا يجب على العراب أن يكون أرثوذكسياً ممارساً، أي عضواً فاعلاً في الكنيسة الأرثوذكسية.

- ماذا يعني قصّ شعر الطفل أثناء المعمودية ؟

في التقليد المسيحي، يدلّ قصّ شعر المعمّد على الإخلاص لله والإلتزام به. الكلمات التي يتفوّه بها الكاهن عند قصّ الشعر هي : "يقصّ شعر عبد الله (أمة الله) (فلان) باسم الآب والإبن والروح القدس". هذا يذكرنا بالتكريس الرهباني المرموز إليه بقصّ شعر الراهب (أو الراهبة) علامة على تكريس حياته بالكامل للرب.

- ما هو العمر المناسب للمعمودية ؟

- الممارسة الحاضرة تكمن في تعميد الطفل بعد أن ينمو جسدياً بعض الشيء بحيث يمكن له أن يشارك في إحتفال عمومي كالمعمودية. وبما ان كنيستنا تمارس المعمودية بالتغطيس، يُنصح أن لا تتم في وقت مبكر جداً. إلا أن هذا لا يعني أن على الأهل أن ينتظروا كثيراً بحيث يصبح الأمر أصعب نظراً الى كبر الطفل. ما تنصح به الكنيسة هو إجراء المعمودية حين يكون عمر الطفل بين أربعة وسبعة أشهر.

- هل سيدان الأطفال الذين ماتوا قبل أن يتعمّدوا ؟

- ليس عندنا تعليم من الكتاب المقدس بهذا الخصوص. الكنيسة منذ القدم أظهرت الرأفة في هذا الإطار. من ناحية ثانية، في حال كان لدى الأهل النية لتعميد الطفل، إلا أنهم، لظروف خارجة عن إرادتهم لم يتمكنوا من ذلك، فإن نيتهم تكون معلومة عند الله الذي هو رحوم ومقدّر للنوايا. وفي أية حال لا نستطيع تنصيب أنفسنا ديّانين مقام الرب الذي له وحده دينونة مثل هؤلاء، مع جميع غير المعمّدين، عند مجيئه الثاني. ما هو واجب علينا يمكن في تنفيذ وصيته أن نذهب الى العالم وأن نبشر بالإنجيل معمّدين كل من يقبله باسم الآب والإبن والروح القدس. فالذين يُسلّمون الإيمان ويتعمّدون يدخلون الى حظيرة الرب. هذا هو التأكيد والضمانة التي نُعطاهما في سرّ المعمودية، وعندما نعي هذا الأمر علينا ألا نهمل خلاصاً كهذا.

- لماذا يتعمّد الناس عندما يكونون أطفالاً لا عندما يصبحون في عمر يمكنهم فيه

اختيار إذا ما كانوا يريدون أن يصبحوا مسيحيين أرثوذكسيين ؟

- عن تغذية الأطفال واجبة دوماً. الأهل، كما يقول علماء الاجتماع، يمدّون أولادهم بالثقافة والحضارة. فهم، على سبيل المثال، يعلمونهم لغتهم ويلقّنونهم التقاليد والممارسات والإرث الذي ينتمون إليه وما شابه. مجموع هذه هو ما يعطيهم "هوية" قوية، كما يقول علماء النفس. فنحن نكون مستقرين ومتوازنين عندما نعي " من نحن ". الأهل لا يعطون أولادهم خيار الإسم والجنسية والتربية، فيما يبقى الكثير من نواحي الحياة بانتظار الحلّ حتى " يكبروا ويقرّروا بأنفسهم ". الدين هو أكثر من قوة إجتماعية جامعة. إنه أكثر من قناعة شخصية. إنه كل هذه الأمور بالإضافة الى الأهم، إنه نظرة شاملة الى الحياة، إنه منظار ترى العالم من

خلاله وفي الوقت ذاته هو توجيه نحو الوجود. أمرٌ في هذه الأهمية لا يمكن أن يُترك للصدفة إذ نحصد عندها جيلاً من الضائعين والحائرين القلقين، وهذا هو التعريف الصحيح لكثير من الناس في عصرنا. باختصار، إنه من المفيد جداً لخير الأطفال أن يصبوا جزءاً من الكنيسة منذ بدايات حياتهم. هذا الأمر نافع لهم وللمجتمع بشكل عام.

- إذا أُعطيت المعمودية لإنسان بالغ وقع في الخطايا قبل المعموديته، هل تُغفر له هذه

الخطايا ؟

- نعم، بحسب تعليم الكتاب المقدس والكنيسة. فالخطايا تُغفر في المعمودية نتيجة إعادة خلقنا وتجديدنا في المسيح، بغضّ النظر عن عمر الإنسان وأوان المعموديته. هكذا دُعي الإنسان البالغ شاول الى المعمودية بهذه الكلمات : " والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب " (أعمال ٢٢: ١٦)، فأصبح رسول لمسيحية الشهير واتخذ اسم بولس.

- إذا كانت المعمودية تعني غفران الخطايا، لماذا اعتمد يسوع في نهر الأردن مع

كونه خالياً من الخطايا ؟

- كان المسيح بدون خطيئة وبالتالي لم يكن محتاجاً الى الغفران أو التوبة. لقد اعتمد يسوع ليُظهر للعالم هويته الإلهية ورسالته كونه أحد أقانيم الثالوث الأقدس، ولكي يتمّ الوصايا كجزء من عمله الخلاصي من أجل الإنسانية. المفتاح لفهم هذا الحدث هو التعبير الذي تطلقه الكنيسة على هذا الحدث: " الظهور ". علينا هنا أن نوضح أمرين أولهما أن نوضح أمرين أولهما أن المعمودية المسيح، كما هي موصوفة في العهد الجديد حدثت قبل ابتداء بشارته العلنية. كذلك يجب التشديد على أن المعمودية يسوع كانت " ظهوراً " مميزاً. فقد حصل في هذا الحدث ظهور لجوهر الله. لقد كانت المعمودية المسيح كشفاً لحقيقة الله الثالوث بطريقة مثيرة وقوية، تداخلت في صياغة الأفعال والأقوال والرموز. إن نص الإنجيل بحسب القديس متى يحمل بُعداً

تعليمياً : " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذ السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلاً : هذا هو إيني الحبيب الذي به سررت " (متى ٣: ١٦-١٧). هنا لا نرى فقط ذكراً للأقانيم الثلاثة: الآب والإبن والروح القدس، بل نلاحظ أيضاً العلاقة بين الأقانيم الثلاثة بالنسبة لعمل يسوع المسيح الخلاصي. هذا الحدث ليس فقط كشفاً أو " ظهوراً " للثالوث بل لكونه حصل عند بدء عمل المسيح الخلاصي، هو إعلان عن سلطانه وقدرته في ما يتعلّق بعمل الخلاص.

إلا اننا نجد أنفسنا مدفوعين للتساؤل : لماذا حصلت المعمودية يسوع بواسطة يوحنا ؟

يجب هنا أن نشير الى أن المعمودية التي جرت ليسوع ليست هي المعمودية المسيحية التي تجرى لغفران الخطايا والدخول الى ملكوت الله. صحيح ان للمعمودية علاقة بالخطيئة لان المعمودية يوحنا دعت الى التوبة عن الخطايا. هذا يجعل السؤال أقل أهمية إذ لم يكن ليسوع خطايا يتوب عنها. نجد الجواب عن التساؤل في إحدى تراتيل عيد الظهور حيث يتكلم نهر الأردن عن المعمودية يسوع: " لماذا اضطربت مياهك أيها الأردن، ولماذا رجعت الى الوراء وتوقفت عن الجري بحسب الطبيعة ؟ فيجيب قائلاً : لا استطيع إحتمال النار الهائلة ، لذلك أتعجب وأرتعد لتنازلك الرهيب، لأني لست معتاداً أن أغسل الذي هو طاهر، بل لأن أنقي ما هو غير طاهر. لكن المسيح الذي اعتمد فيّ يعلمني أن أحرق أشواك الخطيئة، ويوحنا، صوت الكلمة يشهد معي صارخاً : هوذا حمل الله الرافع خطيئة العالم. لذا، فلنهدف أيها المؤمنون قائلين: " أيها الرب الذي ظهر من أجل خلاصنا، المجد لك ."

لماذا إذاً قبل يسوع أن يعتمد على يد يوحنا ؟ الجواب هو نفسه الذي أعطاه الرب ليوحنا عندما طرح عليه السؤال نفسه : " إسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ " (متى ٣: ١٥). القديس يوحنا الذهبي الفم يفهم الأمر على أنه عامل أساسي في عمل المسيح الخلاصي: فهو يتخذ كل بشريننا في نفسه لكي يخلصها، بما في ذلك إتمامه للشرعية بكمالها. فنحن، كخطاة، نجد أنفسنا مقصرين دائماً في إتمام الشرعية لهذا هي، بمعنى من المعاني، لعنة بالنسبة لنا. يسوع قد أتمّ الشرعية كجزء من عمله الخلاصي، ويعلق الذهبي الفم على هذا بقوله (على لسان يسوع): " البرّ هو إتمام الوصايا". " منذ ذلك الحين قد أنجزنا كل ما تبقى من الوصايا" ، يقول الرب، " وتبقى هذه التي يجب أن تزداد: " لأني أنا أتيت لأزيل اللعنة المنصوص عليها لمخالفتي الناموس، عليّ أن أتمّ الناموس لاخلصكم من العنته وبهذا أصل به الى غايته. لهذا، يليق بي أن أتمّ كل الناموس لكي أزيل اللعنة التي هي بالمرصاد لكم في الناموس. هكذا هو هدف تجسدي ومجيئي إليكم". ٠ عظة ١٢ حول إنجيل متى).

عن كتاب ستائلي هراكاس

٤٠٠ سؤال وجواب حول الأرثوذكسية

+ من قوانيننا

+ في المعمودية لا يجوز لرجل أن يكون عراباً لطفله كما لا يجوز لامرأة أن تكون عرابة لطفل. فالرجل يحمل الطفل الذكر والمرأة تحمل الطفلة الأنثى (المجمع المسكوني الأول، القانون ٢٢).

- لا يجوز على الإطلاق أن يقام سرّ المعمودية في مصلّى داخل أحد المساكن، وكل من صار أهلاً للأستنارة النقية يجب أن يذهب الى إحدى الكنائس الجامعة لنيل هذه الموهبة.

ومن خالف ما رسمناه يسقط إن كان إكليريكيا ويقطع إن كان عاميا (مجمع ترولو، القانون ٥٩).

+ أي أسقف أو قس لا يتم سر المعمودية بثلاث غطسات بل بغطسة واحدة، لموت الرب فليسقط لأن الرب لم يقل عمدوا لموتي بل قال: " إذهبوا وتلميذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس " (قوانين الرسل القديسين، القانون ٥٠).

+ إن المزمعين أن يعتمدوا يجب أن يتعلموا دستور الإيمان عن ظهر قلب وأن يتلوه غائبا أمام الأسقف أو الكهنة في اليوم الخامس من الأسبوع العظيم (مجمع اللاذقية، القانون ٤٦).

+ ان من يعتمد وهو مريض ثم ينال الشفاء يجب أن يتعلم دستور الإيمان غيبا وأن يتحقق أن النعمة الإلهية جعلته أهلا .مجمع اللاذقية، القانون ٤٧).

+ تأمل

العماد هو نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد. والمعمد الأول هو " يوحنا الذي لم يظهر في أولاد النساء أعظم منه " (متى ١١: ١١) وكان خاتمه الأنبياء " لأن جميع أنبياء الشريعة قد تنبأوا وحتى يوحنا " (متى ١١: ١٣). انه بداية الأعمال الإنجيلية: " في بدء بشارة يسوع المسيح ، ظهر يوحنا في البرية يعظ بمعمودية التوبة " (مر ١: ٤ ، ٤) وحتى إيليا الذي رفع الى السماء لم يكن أعظم منه. ورفع أخنوخ كذلك الى السماء، ولكنه لم يكن أعظم من يوحنا. إني لا أجرء أن أقارن الأنبياء بعضهم ببعض، ولكن اللهم الذي هو إلهنا، الرب يسوع المسيح، قال: " ليس في أولاد النساء من هو أعظم من يوحنا " (متى ١١: ١١). إنه لم يقل " في أولاد العذارى " بل " في أولاد النساء " ، إنها مقارنة بين خادم عظيم وخدام آخرين. أما السم والنعمة اللذان للابن، فيجعلانه فوق كل مقارنة مع الخدام. هل ترى أي رجل عظيم إختار الله في أصل هذه النعمة : إختار رجلا فقيرا صديقا للعزلة بدون أن يبغض لذلك البشر، يلبس ثوبا من وبر الإبل، ويقتات من الجراد وعسل البر، ويقول أشياء مفيدة وحلوة كالعسل، ويعطي بحياته الخاصة المثل لحياة الزهد والنسك. وما هو أروع من ذلك كله أنه تقديس في بطن أمه من الروح القدس (لو ١: ١٥). تقديس كذلك إرميا النبي بهذه الكيفية ، ولكنيه لم ينتبأ في بطن أمه. يوحنا وحده اهتز طربا في بطن أمه، وبدون أن يراه بعيني الجسد، عرف بالروح ربه، وبما أن نعمة العماد كانت الى هذا الحد من سمو، فقد كانت بحاجة الى معمد عظيم.

كان يوحنا يعمّد في الأردن، وكانت أورشليم بأسرها تخرج إليه (متى ٣:٥) لتحظى ببواكير العماد، لأن أورشليم هي في أصل كل خير. ولكن اعلّموا، يا سكّان أورشليم، كيف أن الذين كانوا يذهبون إليه كانوا يعمّدون منه " بالاعتراف بخطاياهم". فقد كانوا يطلعونه أولاً على جراحهم، وكان هو يعطيهم الدواء. والذين كانوا يؤمنون، كانوا يخلصون من النار الأبدية. وإن كنتم تريدون أن تقتنعوا بذلك، فإن عماد يوحنا كان ينقذ من النار، فأسمعوا ما كان يقول: " يا أولاد الأفاعي، من علمكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟" (متى ٣:٧، مر ١: ٥) لا تكونوا أولاد الأفاعي، ولكن أنتم الذين كنتم في الماضي أولاد أفاع، أتركوا جانباً حياة الخطيئة، لأن كل ثعبان يجد نفسه في ضيق يترك ما هو قديم، وإذا هو يخلع هكذا، بسبب ضيقه، ما هو قديم، يحيا بجسد جديد. وهكذا ادخلوا أنتم أيضاً من الباب الضيق (متى ٧: ١٣-١٤). وبعد أن تكونوا كفّرتم عن خطاياكم بالصيام، واستعجلتم هكذا النهاية " إخلعوا الإنسان العتيق مع أعماله"

(كو ٣:٨)، وردّدوا مع صاحب الأناشيد: " قد نزعت قميصي فكيف ألبسه؟" (٣:٥). فإن كان بينكم من باب المصادفة مراؤون يحاولون نيل إعجاب الناس ويتظاهرون بالتقوى وهم غير مخلصين في قلوبهم، مقلدين بذلك سيمون الساحر الذي أتى لا لتقبّل النعمة بل للاستفادة من معجزاتها، فليسمع هؤلاء ما يقوله يوحنا: " ها هي ذي الفأس على أصول الشجر، فكل شجرة لا تثمر ثمراً طيباً تُقطع وتلقى في النار" (متى ٣:١٠). إن القاضي لا يرحم فدعوا عنكم إذا المكر والخداع.

القديس كيرلس الأورشليمي